أ. محمد بلبشير
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
و العلوم الاجتماعية
جامعة تلمسان

الإسلام وصراع الحضارات

يرى هنتينغون أن الصراع الرئيس سيكون بين حضارة الغرب و نوع من التحالف بين الحضارتين الإسلامية و الكونفوشيوسية بقوتها الصناعية و العسكرية، و الحضارة الإسلامية باحتياطياتها النفطية وقربها الجغرافي من الغرب ...

غير خاف على كل متأمل للواقع الدولي المعقد، و للأحداث العالمية المريبة، وما يعرض للأمة الإسلامية ـــ و هي بسبيل تطلعها إلى استرداد عافيتها الحضارية و تكاملها ـــ من تحديات و مخاطر وعداء، و معاناة داخلية و خارجية.

و لعل الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون، كان الصوت العالي الذي دعى للاستعداد للمواجهة مع المسلمين، حيث قال " ينبغي أن يستعد الغرب لمواجهة حاسمة مع الشرق الإسلامي، فالعالم الإسلامي يشكل واحدا من أعظم التحديات السياسية الخارجية للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين"(1)

و من هنا يتضح أن الحضارة الإسلامية قوة مرشحة لتواجه حضارة الغرب فيما يعرف بصراع الحضارات.

و في ظل هذا، طرح صمويل هنتينغتون (2) في صراع الحضارات تطورا جديدا للقرن الخامس عشر، و أثار نقاشات و تساؤلات و انتقادات، واعترف بتنويع الحضارات الحضارات بصفة مشبوهة، كما أعتبر أن هذه الحضارات ستصطدم يوماما.

و العالم اليوم يعيش في قرن جديد و في وضع مضطرب، فماذا بامكان العالم الإسلامي أن يفعل؟ و ماذا يتوجب على الغرب أن يقوم به؟

لو تفحصنا بما يعنيه بعض المفردات التي لها علاقة ببحثنا هذا و التي استعملها هنتنغتون في مؤلفه (صراع الحضارات) لأمكنا أن نمهد الطريق في استقراء العقل المهيمن عالميا.

فكلمة CLASH)) صدام تعني بالدقة (يتضارب، يتنافر، يشتبك، يصطدم، يتعارض، اشتباكا مسلحا صليلا، قعقعة) 3 ,و القصد في استعمال كلمة صدام, أن يحق للحضارة الغربية أن تقوم بما يمكنها من القيام به اتجاه أية حضارة أخرى تراها تكون تهديدا عليها.

فالقتل و التدمير و ...مسالك يمكن للحارة الغربية ان توظفها لخدمة أهدافها, كما أنها أجازت لنفسها في حالة صدامها و تنافرها مع الآخرين بسلوك ما تراه مفيدا,...لأن الصدام بعقلية الغرب, لا توقفه موانع او مقدسات او قوانين, بل تسيره عقلية نفعية همها الأول أن تكون الأولى من دون البقية من الآخرين.

أما مفهوم الصراع (STRUGGLE) الذي تجري استعمالاته موافقة مع مفهوم الصدام من منظري الاستراتيجيات الكونية, فهو اقل استفزازا و تهيجا مما يرادفه فهو يأتي تحديدا على شكل (كفاح, نضال, يكافح, يناضل, يقاوم, يجاهد,...) 4, و هذه المعاني اقل ضررا و عدوانية من الصدام, لأن الصراع تدخل تحته أشكال متعددة من الحوارات سواء أكانت سياسية أم ثقافية أم اقتصادية أم عسكرية للوصول الى الاتفاق. كما أن الصراع سنة ماضية في الكون, و الصراع بين الحضارات إنما هو في جوهره صراع بين معتقدات لا بين طبقات و لا عرقيات, فقد ينتمون إلى طبقة أو عرق واحد لكن يختلفون في المعتقد فيكون بينهم الصراع.

أولا : ما معنى الحضارة ؟

لا شك أن المصطلحات الرائجة في هذا الحقل مثل المدنية و الثقافة, و الحضارة غير محددة وللحضارة وحدها تعاريف كثيرة جدا...فهي كما يراها مالك بن نبي تعتمد على

منهجين: أحدهما تحليلي تركيبي و الثاني وظيفي.

فبالمنهج التحليلي التركيبي, يسوق مثال المصباح الذي نستنير به, و يتساءل متى يصح تسمية هذا المصباح بالإنتاج الحضاري؟ و الحقيقة, كما يضيف, لا يمكن وصفه بذلك إلا إذا كان هذا المصباح,

و الأفكار التي صاحبت إنجازه, و الآدميون الذين قاموا بعملية الإنجاز, يمثلون جميعا منتجات اجتماعية لحضارة معينة.

أما التعريف الوظيفي للحضارة فهي كونها: " مجموعة الشروط الأخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه, في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة, الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه " 5 , في حين يراها هنتينغتون " أنها كيان ثقافي يتحدد بعناصر موضوعية مثل اللغة و التاريخ و العادات و عناصر ذاتية تتركز على التماهي الذاتي للناس" 6 .

و يرى هنتينغتون ان الهوية الثقافية تكتسب المزيد من الأهمية, كما أن شعور الانتماء الى حضارة معينة سوف يكون له شان متزايد في المستقبل و يحدد الحضارات الكبيرة بسبعة هي, الحضارات : الغربية, و الكونفوشيسية, و اليابانية, و الإسلامية, و الهندية, و السلافية الأرثوذوكسية, و الأمريكية اللا تينية, و ربما تكون الثامنة الأفريقية و يضيف قائلا : " إن خطوط التراع الرئيسية ستكون على امتداد خطوط التقسيم الثقافية, التي تفصل هذه الحضارات عن بعضها البعض." 7

ثانيا: أسباب صدام الحضارات:

يستند هنتينغتون في أفكاره إلى فرضية تقول: إن المصدر الرئيس للصراعات القادمة بين الحضارات سيكون ثقافيا و مع أن الدولة القومية ستستمر في القيام بدور أساسي في الشؤون العالمية فإن الصراعات المهمة في السياسة الدولية ستكون بين الدول و الجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة. و ستقوم الحضارات بتكوين علاقات التماسك

أو التفكك و الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، و تأسيسا على ذلك فإن الصراعات السياسية المحلية التي ستبرز ستكون هي الصراعات العرقية و الأثنية، في حين سيكون الصراع المقبل على المستوى العالمي، صراع الحضارات، كما أن القضايا الجوهرية على الساحة الدولية سترتبط بشكل مباشر بالاختلاف بين الحضارات.8

و يرى أن الفروق بين هذه الحضارات هي فروق أساسية تتلخص في التاريخ و اللغة الثقافية، والأهم الدين، فالدين مركزي في العالم الحديث، وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس،وتشحدهم ، و هذه الفروق الثقافية ليست قابلة للتبديل أو الحلول الوسط، و مع تحديد العلاقات المختلطة بمقياس ديني أو إثني فستنشأ تحالفات في صورة متزايدة تستغل الدين المشترك و الهوية الحضارية المشتركة، وبناء على ذلك سيحدث صدام بين الحضارات.9

ـــ يلاحظ هنتينغون أن الغرب برغم أنه في أوج قوته —فهو يواجه حضارات ليست غربية، ترغب في تشكيل العالم بطرائق ليست غربية، و لا تنقصها الإرادة ولا الإمكانيات لتحقيق هذا.10

ـــ إن النزعة الإقليمية الاقتصادية ستدعم الوعي الحضاري، كما للثقافة المشتركة أثر فعال في نمو هذه النزعة، على غرار ما يحدث بين الصين الشعبية و هونكونغ و تايوان و سانغفورة ،إذ أخذت الجماعات تتجاوز خلافاتها الإديولوجية و هذا بفضل ثقافتها المشتركة.11

ـــ إن الخطوط الفاصلة بين الحضارات سوف تكون هي خطوط المعارك، و تتمثل في التنافس العسكري و الاقتصادي و مدى السيطرة على المؤسسات الدولية إضافة إلى ترويج القيم السياسية والدينية الخاصة.12

ـــ و يرى هنتينغون أن الصراع الرئيس سيكون بين حضارة الغرب و نوع من التحالف بين الحضارتين الإسلامية و الكونفوشيوسية 13 بقوتها الصناعية و العسكرية،

و الحضارة الإسلامية باحتياطياتها النفطية وقربها الجغرافي من الغرب،ومن هذا المنظور فإن الصراع بين الإسلام والغرب مستمر منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، غير أنه يشير إلى توقع استمرار هذا الصراع إلى زمن طويل مقبل، أما الصراع بين الغرب و الحضارة الكونفوشيوسية فهو صراع قصير.

و بناء على ذلك فإنه يخاطب الساسة الغربيين محذرا بقوله: " على الغرب أن يحد من توسيع القوة العسكرية لحضارات معادية محتملة، خصوصا الكونفوشيوسية و الإسلام" و يوضح أن مصطلح الحد من الأسلحة ينطلق من المركزية الغربية في المفاهيم و الأهداف، و يهدف حقيقة إلى منع استحداث المجتمعات غير الغربية لقدرات عسكرية قد تهدد مصالح الغرب " فالغرب يحاول تحقيق هذا الهدف عبر أربعة أشكال: الإتفاقات الدولية، و الضغط الاقتصادي، و قيود التسلح و الرقابة على نقل تكنولوجيا السلاح".14

ثالثا: أهمية الدين بين عناصر الحضارات:

يرى مالك بن نبي أننا حينما نتأمل القرآن الكريم " يبدو الدين كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، و تتحكم في تطورها. و الدين على هذا يبدوا و كأنه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية 15 .

و يذكر هنتينغون أن أركان الحضارة المشتركة التي تربط بين الجماعات هي : اللغة و الدين والتاريخ و العادات، و كل هذه مجتمعة في الدول العربية ، ثم إن الدين و هو أقوى الأركان يربط الدول العربية بالدول الإسلامية برباط قوي ، و بخاصة أن الإسلام خلق تشريعات مشتركة و قيما وأخلاقا لكل المسلمين، و هذه العلاقات بين المسلمين بعضهم البعض أقوى من الأيديولوجيات والسياسة، واللغة العربية لغة القرآن واسعة الانتشار في البلاد الإسلامية بعضها ببعض16 .

و بهذا فهو يركز على أهمية الدين الإسلامي في توحيد شعوب الحضارة الإسلامية؛

كما أننا نجده يشد على أن الدين الإسلامي هو أشد خصوم الحضارة الأرتوذكسية، و يوصي بروسيا (الاتحاد السوفيتي سابقا) في أن تكون حليفا طبيعيا للغرب في مواجهة التحالف الرئيس بين الحضارتين الإسلامية و الكونفوشيوسية، و هذا ما جعل الرئيس السوفياتي الأسبق ميخائيل غورباتشوف حين خاطب الأمركين يقول: " نحن نقوم بأمر مروع لكم، فنحن نحرمكم عدوا" 17.

يرى هنتنيغوت أن أشكال التحدي الإسلامي للحضارة الغربية تتمثل مظاهرها في إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة تلقائية مما يغذي قاعدة الإيمان بالعناصر البشرية ، خصوصا إذا أخدنا في الاعتبار أن الإحصاءات الأخيرة قد أثبتت أن مجموع أعداد المسلمين في أروبا وأمريكا تنيف عن العشرين مليونا، ستة منها تتحرك داخل أمريكا، و تأتي بعدها فرنسا التي يوجديها ما يناهز الخمسة ملايين أي نسبة 22/1 من سكان فرنسا حسب إحصاءات عام 1999م ، و نذكر بهذا العدد أن الفاتيكان كان نشر عام 1985م إحصاءات بين فيها للمرة الأولى في تاريخها أن عدد المسلمين فاق عدد الكاثوليك. وحسب هذه الإحصاءات فإن عدد الكاثوليك وقتئذ كان قد بلغ 850 مليون نسمة مقابل 865 مليون نسمة عدد المسلمين18.

و لذلك فإن هنتينغون يرى أن خطورة الإسلام تكمن في التوسع الخارجي للمجتمعات الإسلامية أو على شكل الهجرة إلى أوروبا و أمريكا 19 مما ينبغي اتساع الرقعة الجغرافية للإسلام.

ويصف صاموئيل هنتينغون العلاقة العدائية بين الإسلام و الغرب بأنها حالة شبه حرب بسبب عدم خضوع بعض الدول و المنظمات لمبدأ الهيمنة الأمريكية الذي تريد تطبيقه على العالم وفق القياس الأمريكي، مما أوجد أساليب جديدة في مقاومة مثل هذه النزاعات يصل بعضها إلى العنف كالعراق... او إلى المقاطعة الاقتصادية كليبيا سابقا 20.

و يوضح هنتينغتون عداءه للإسلام بالقول إنه متصادم و معاد اتجاه الحضارات

الأخرى، و يؤرخ لتاريخ النزاع بين الإسلام و الغرب عبر ثلاثة عشر قرنا و الامتدادات المتبادلة بينهما وما تحفل به من جراح عميقة.

ثم يستعرض في خطوط النزاع القائمة على طول حدود العالم الإسلامي من الغرب ، و يستعمل تعبير " حدود الإسلام الدموية" مما يوحي بأن المسلمين هم الطرف العدواني على الآخرين، لأن اتجاهات العنف عند المسلمين يمكن تلمسها من أن الإسلام كان منذ البداية (دين سيف)، كما إنه يعظم القيم العسكرية من خلال التركيز على فكرة الجهاد من أجل الدين21.

هذه أهم أفكار صدام الحضارات ،التي أجملها هنتيغتون في دراسة الفكر السياسي الغربي و قد مر عليها عشر سنوات، و عزها الكثير من الإثباتات و البراهين، لكن واقع المسرح السياسي الدولي في ظل انفراد الهيمنة الأمريكية على الساحة العالمية، ـــ ما يمكن أن نسميه بالأمركة أو العولمة ـــ ، يكاد يجعل من هذه الأفكار قانونا اجتماعيا غربيا مطلوب تطبيقه، في إدارة الصراعات الدولية و الحلول المقترحة لها وفق القياس الأمريكي، و بالتالي فإن نظرية هنتيغتون هذه أحد المخارج التي توصلت إليها النخب الحاكمة في الولايات المتحدة للحفاظ على مكاسبها الناجمة عن استمرارية موازنات الحرب في الارتفاع، و عن تنازل المجتمعات الغربية عن جزء منهم من حقوقها في التقدم مقابل الحصول على قدر أكبر من الأمان لاتجاه الأعداء المفترضين.

رابعا: نقد أفكار هنتينغتون.

ـــ يحاول هنتيغتون خلق عدو خارجي للولايات المتحدة، ووصفه أنه عدو قوي، و لابد للغرب بأن بعد العدة لحرب قادمة، و يغشى أن تتوانى الولايات المتحدة الاستعداد لهذا العدو.

ـــ في تصنيفه للحضارات التي يمكن أن تتصارع فيما بينها فرق بين مفاهيم ثلاثة متداخلة، 'الحضارة الغربية، وحضارة أمريكا اللاتينية، والحضارة السلافية الأرثوذكسية، في

حين أنه انطلق إزاء تقويمه للحضارات من أساس ديني، غير أنه تناسى أن هذه الحضارات تنتمي إلى أصل حضاري واحد هو المسيحية كدين و ثقافة.

ـــ إن فرضية هنيتغتون في صدام الحضارات تخفي داخلها أمورا منها:

ـــ رفضه فصل الثقافة على الحضارة. و اعتبار أن الثقافة هي الفكرة العامة في كل تعريف للحضارة، ما انعكس بدوره على مفهومه عن الحضارة و ربطه بالدين، و هذا خلل واضح إذ أن استخدام مفهوم الحضارة، و الدين بوصفه المؤشر الأساسي للتمييز بين أطراف الصراعات الرئيسية في واقعنا اليوم لا يساعد فهمنا لهذه الصراعات.

أما استعماله مصطلح الحضارة الغربية فإن هذا المصطلح لم يظهر إلافي القرن العشرين،و هو مصطلح يتضمن إدراك أن هذه الحضارة على عكس من الحضارات على عكس غيرها من الحضارات لا تضعه الدين في مكانه مركزية، كما أنه يركز بعنف على أن الحضارة الغربية هي بيئة العقيدة الأمريكية 22 و في ذلك عدوانية و مصادرة للآخرين و ادعاء بطولي في غير محله.

أظهر أفكاره العدائية بطرح الموضوع على أنه صدام أو صراع و نسى محاولات غرس التسامح بين الشعوب، الذي تنادي به جميع الأديان السماوية و خاصة الدين الإسلامي.

حذر هنتيغتون الغرب مما أسماه تحالف بين الحضارتين الإسلامية و الكونفوشيوسية، بيد أن هذا الارتباط بين الحضارتين لا أساس له فالحدود فيما بينهما تمثل إحدى أكبر بؤر الصاع الحضاري.

نجد هنتيغتون يرتب أوليات دافعية الصراع الحضاري في القوة العسكرية و السياسية و اختلاف الثقافة. غير أن النظرية في عمومها تتمحور حول الدين كعنصر سيبي فريد لا مجال لمقارنته بأي دوافع أو مقومات اقتصادية أو أساسية أو غيرها، يمكن أن تنشب بسببها حرب أو يحتدم صراع بين الحضارات على اختلافها.

نظرة هنتيغتون إلى الإسلام نظرة عدوانية فالإسلام حسب رأيه يناقض القيم الحضارية

الأخرى فهو يعد الإسلام حضارة كالحضارات الغربية و ليست دينا سماويا، كما أنه لا يناسب القيم الديمقراطية و عدوانيا بطبعه لأنه أنتشر بحد السيف.

إذا رجعنا إلى تاريخ الغرب في علاقته بالحضارات التي استمد منها حضارته بواسطة الغزو منذ القرن السادس عشر ميلادي ، حيث حرص " هرمان كورتز" على أن يبيد ثقافـــة " الأزتك"

و ثقافة " المايا" بحجة إدخال المسيحية، ولكن ما بقي من معابد " بالنك" أو " شيشن ايتزا" يعلن أن من شادوا هذه المعابد كانوا قادرين على تقديم الكثير من المظاهر الحضارية لو لم يواجهوا من الغرب بسطوة الغازي المغتصب، فقد سبقت هذه الشعوب إلى إيجاد زراعة متقدمة، و عرفت كثيرا من الأعشاب الطبية،... و كان لهم من ناحية أخرى تقويم أدف من تقويم أوروبا في ذلك العصر، فلما غزاهم الإسبان و البرتغال بأسلحتهم أبادوا هذه الحضارات، بدلا من التحاور معها والإفادة منها ، فكانت تلك الفرصة الأولى التي فقدتها أوروبا في مواجهة الحضارات.

و كانت الفرصة الثانية التي فقدها الغرب... أن المستعمرين الفرنسيين و الإنجليز والأسبان عملوا على تشويه ما قدمه العرب المسلمون من إسهامات حضارية فوصفوا ما قدموه للاسبان من شتى ألوان الحضارة، بأنه غزو عسكري، مغفلين ما قدموه للاسبان من تحرير، حيث أنقذو الأقنان من وصاية ملوك "الفيريغوط" و ما أقاموه في إسبانيا من أجمل منشآت الري التي عرفها العصر، وما نهله الإسبان الأوروبيون جميعا على أيدي العرب المسلمين من علوم في شتى المجالات.

فالمسلمون ما دخلوا أوروبا غزاة، و لكنهم دخلوها معلمين، ناشرين تلك الحضارة الإنسانية الشاملة، التي حظيت بقبول الجماهير التي كانت ترزح تحت وطأة نظام الرق23 .

إذن الشكل العدواني الذي رآه هنتيغتون في الإسلام يدحضه التاريخ، فمن

الذي جيش جيوش الحروب الصليبية و قاد حملاتها ضد بلاد المسلمين؟ ومن الذي مورس ضده الاستدماروالإستعمار؟ العالم الإسلامي أم العالم الغربي ؟ و من يقتل الأبرياء في فلسطين و في العراق و في الشيشان..؟ و من؟ و من؟....

فتاريخ الغرب تاريخ عنصري مليء بالاضطهاد، بل ومحاولات التطوير العرقي و الديني للأقليات العرقية و الدينية ،و الذي وقع في بعض البلدان الأوروبية كإسبانيا ، عندما شنت الكنيسة حرب الابادة ضد المسلمين و اليهود في هذه البلاد، و كما حدث لمسلمي البوسنة و الهرسك في عصرنا الحالي؛ إن تعصب الغرب ضد الأقليات هو الذي حكم و يحكم موقفها ضد الأديان وأهلها حتى اليوم.

هذا بعكس الإسلام الذي حافظ على الأقليات في بلاده و أعطى الجميع الحرية الدينية ومن ثم استطاع ان يقدم وثيقة رائدة تنظم حياة المجتمع المتعدد الجنسيات و الأديان " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.." البقرة "

و التصور الإسلامي لا يكرس الصراع كقانون تاريخي مطلق كما يقول هنتيغتون، و لكن الصراع في التصور الإسلامي بمعنى التدافع ليس إلا سنة واحدة من سنن الاجتماع البشري إلى جانب سنن الله الكونية الأخرى، يقول تعالى " و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله دو فضل على العالمين" البقرة 251.

كما أنه له منطقه المختلف عن مفاهيم الصراع الأخرى، و لذا فإن الجهاد في معناه الواسع24 ليس صراعا مع الآخر للقضاء عليه، و لكن أداة لحماية الدعوة و نشرها بين الآخر، و من ثم فهو أحد أدواته حيث أداة التعاون السلمي تظهر إلى جانبه، و لكل من الأداتين ضوابطهما و شروطهما و ليست إحداهما بديلة مطلقة للأخرى.

كما نجد هنتيغتون يخلط متعمدا بين الإسلام كدين وبين ظاهرة ما أسماه "الأصولية الإسلامية" ففهم الأصولية على أنها وسيلة إرهاب فهم خاطئ 25 ، فالمسلم صحيح الإيمان إنسان أصولي يتبع أصول الدين و أخلاقياته و قيمه، و هو بعيد كل البعد عن

الإرهاب و العدوانية، و متمسك بالتسامح الإسلامي كما أثر عن الرسول صلى الله عليه و سلم.

هذا غير أن الدين الإسلامي إنساني النزعة يجد تألفا له و لفكره حينما يتلاقح مع الأفكار الأخرى بطريقة الأخذ و العطاء بما يخدم الإنسانية، و لهذا السبب لم نلاحظ في التاريخ الإسلامي محاكم للتفتيش، بل التاريخ يشهد و أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام على تعامل المسلمين حتى مع أسرى الحرب.

إن زيادة عدد المسلمين في بلاد الغرب أصبح يخوف الغرب! غير أن هذا التخوف لا يشكل في حقيقة الأمر أي تهديد على البلاد الغربية، فالمسلمون في هذه البلاد أناس بسطاء مسالمون، يمارسون شعائر عباداتهم و تعاليم دينهم بشكل عادي و طبيعي، بل هم المعتدى عليهم، وما قضية الحجاب في فرنسا خير دليل على ذلك، ومحاربة و ممارسة سنة ذبح أضحية العيد بحجة المحافظة على الحيوانات.. و غيرها كثير.

و يرى مراد هوفمان26 أن من أبرز أسباب عداء الغرب للإسلام، هو إدراكهم أن الحضارة الغربية بحاجة إلى دين يصنع لها حدودا حتى لا تنقلب إلى فوضى، ولا يوجد من يتصدى لتلك المهمة، غير الإسلام، فهو دين الحضارة الذي يحدث توازنا في جميع أنشطة الحياة، هذا عدا كونه علاجا حاسما لحالة التغريب و الانخلاع التي يعيشها المجتمع الغربي27 و لذلك فلا غرابة حينما نجد هنتيغتون يقول:" إن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب، موضع شك"28.

فالغرب و إعلامه يحرضان على التخويف من أسس الإسلام و مبادئه و قيمه، زعما بأنها تفكير يؤدي إلى الغلو و التطرف و الرجعية، و نسي هنتيغتون و غيره صور الإرهاب في أمريكا و فرنسا... و... و... غير أننا نجد من أبناء الغرب من يحذر بين مظاهر العنف في العالم الإسلامي و بين الإسلام و قيمه و مبادئه، مثل الأمير تشارلز ـــ ولي عهد بريطانيا ـــ حيث يقول " إن التطرف ليس حكرا على الإسلام، بل ينسحب على الديانات أخرى

بما في ذلك المسيحية، و الغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال، والنبي محمد كان يمقت التطرف ويحارب التعصب، و من الخطأ الجسيم أن نحكم على المسلمين بالإرهاب لبعض الحوادث التي تتصل بهم ، فذلك مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب ،و الاعتداء على الأطفال و إدمان المخدرات29 .

فهذه الشهادات ومثلها ستساعد كثيرا في تصحيح الصورة النمطية المتوارثة عن الإسلام في الغرب، و ستقترب وجهات النظر في القضايا الخلافية لخدمة الإنسانية و سعادتها، و عيشها في حوار و تعايش سلميين، لاصدام و صراع كما يدعو إليه هنتيغتون، فنمط العلاقة بين الحضارات في المفهوم الإسلامي هو تعارف و حوار الحضارات لا صراع وصدام يقول الله تعالى " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**".(سورة الحجرات)

خامسا: ملامح الحضارة الإسلامية:

إن أهم ملامح الحضارة الإسلامية في عصر تعدد الحضارات تتمحور في أربعة عناصر أساسية متعاونة إيجابا، و بها و عليها قامت حضارة الإسلام الربانية، الإخاء الإنساني، الشمول، المنهجية العلمية.

فالربانية صلة بين الإنسان و ربه.

و الإخاء صلة بين الإنسان و أخيه الإنسان .

و الشمول صلة بين الإنسان و الكون .

و المنهجية العلمية بمفهومها الإسلامي الذي يجمع بين الوحي و العقل، طريقة للتعامل بنورين من الوحي و العقل، مع الكون و الإنسان .

فبهذه الملامح نقدم حضارتنا الإسلامية إلى حضارة الغرب و الحضارات الأخرى، نقدمها بإبداعاتها و قيمها، نقدم رؤيتها لقضايا العالم، من حقوق الإنسان، و سلام و ديمقراطية وأخلاقيات في التعامل و المحبة و التعاون....

لكن لا بد قبل تقديم من معرفة جوانب قوة ومكامن ضعف هذه الحضاره، و اكتشاف قدراتها الحقيقية و إمكاناتها الروحية و الفكرية و البشرية و المادية، و إدراك صورة هذه الذات عند الحضارات الأخرى، و لابد بعد ذلك من تقديم فهم عقلي لعالمنا المعاصر، كما يتطلب تقديم الإجابة الواضحة عما يسميه هنتيغتون تمديد الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية.

غير أننا إذا نظرنا إلى أفكار هنتيغتون نظرة إيجابية لمستقبل الإسلام ربما نجده متفائلا أكثر من المسلمين و أكثر منه " باول شمتر" حيث يقول " لا يساورني شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، و تتماسك أطرافها تماسكا قويا، و تحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، سيكون لها النصر في النهاية.. و إذا كان المسلمون قد تخلفوا في التكنولوجيا فإنهم يستطيعون تدارك ذلك، و لكن في مقابل هذا سيكون من الصعب علينا استعادة أو إحياء التعاليم الروحية، تلك التي فقدتها المسيحية، و لكن الإسلام حافظ عليها30 .

و في هذا الصدد نجد مالك بن نبي ينظر إلى مستقبل العالم الإسلامي نظرة تفاؤلية، فهو لم يفقد الأمل في إنسان ما بعد الموحدين رغم الصفات السلبية التي وصفه بها ..و التي تطابق المسلمين اليوم.. و لذلك نجده يقرر بقوله " الواقع أنه على الرغم من قابليته للاستعمار قد احتفظ بمعنى جوهري هو : معنى القيمة الخلقية ،و هو ما ينقص الفكر الحديث الشامخ".31

إذن فإنسان ما بعد الموحدين ـــ إلى يومنا ـــ هذا مازال يحتفظ بالورقة الرابحة ورقة القيمة الخلقية الدينية الروحية، التي هي شرط أساس لكل إقلاع حضاري و يبقى البناء أو إعادة البناء دائما في وسعه إذا ما تمثل قوله تعالى: " **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**" (الرعد :11)

الهوامش :

1- RICHARDNIXON: SEIZE THE MOMENT.New York 1986.pM39-54

2- صاموئيل هنتينغتون: أستاذ في جامعة هارفارد الأمريكية، قسم العلوم السياسية- و مدير معهد (جون أولين) للدراسات الاستراتيجية.

طرح أفكاره عن صراع الحضارات في القرن الجديد على شكل مقال في مجلة الشؤون الخارجية FOREIGN AFFAIRS عام 1993، تحت عنوان " صدام الحضارات (THE CLASHOF CIVILIZATIONS)، ولقد أثارت تلك المقالة عاصفة من النقد و النقاش التي أبرزت نقاط الضعف فيها ، فعاد -هنتيغتون- إلى منتقدية بطرح موسع لفكرته الأصلية في كتاب بالعنوان نفسه، و لكن بشيء من التوسع و التعقيد .

أسندت له مسؤولية قسم التحليل و الاستشراف في مجلس الأمن القومي الأمريكي.

3- انظر: قاموس أكسفورد الحديث، مطابع جامعة أكسفورد 1999، ص 128

4-قاموس أكسفورد الحديث، المرجع نفسه، ص:745.

5-مالك بن نبي: آفاق جزائرية، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ص 46، 47

6- SAMUEL P. HUNTINGTON- THE CLASH OF CIVILIZATIONS AND THE REMAKING OF WORLD ORDER- NEWYORK Simon and Schuster 1966 p189.

صاموئيل هنتيغتون: صدام الحضارات، مركز الدراسات الاستراتيجية و البحوث بيروت لبنان ص 19

7-صاموئيل هنتيغتون، المرجع نفسه ص 19

8 -المرجع نفسه ص 294

9و10 — المرجع نفسه ص: 21 وما بعدها.

11 - جودت سعيد و عبد الواحد علواني : الإسلام و الغرب و الديموقراطية، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ط 1 ، 1996م /1417هـ ، ص 29

12- صاموئيل هنتيغتون، المرجع السابق ،ص :23.

13- الكونفوشيوسية: نسبه إلى كونفوشيوس 479/551 ق م، للتوسع عن الكونفوشيوسية يراجع: سعد الدين وهية، نصف قرن في الصين، دار المعارف ،القاهرة ،مصر،دط، 1980

14 -مرجع نفسه، ص :38 .

15 -مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ، سوريا 1984م ، ص: .300

16 -صاموئيل هنتيغتون ،المرجع السابق، ص: 306 و بعدها.

17 -المرجع نفسه، ص: 198

18 -ينظر: المهدي منجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الرحاب- الجزائر، ص: 140

19-صاموئيل هنتيغتون: المرجع السابق، ص: 261

20-المرجع نفسه: ص: 282

21 - المرجع نفسه: ص: 280

22- انظر: نجيب غصبان: صدام الحضارات و إعادة صياغ النظام العالمي، مجلة المستقبل العربي، العدد 226، الشهر 12 / 1997 ص: 144

23 -للتوسع ينظر أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،مصر ط1 ،ج :8 ،ص: 35 ،36

24 -للتوسع حول مفهوم الجهاد في الإسلام يراجع: محمد سعيد رمضان :الجهاد في الإسلام، دار الفكر، دمشق ، سوريا ،ط: 2 ، 2000 م .

25 -للتوسع ينظر أحمد شلبي: العالم الإسلامي و أفاق القرن الواحد و العشرون. وزارة الثقافة المصرية، القاهرة ،مصر، ط :1، 1995، ص: 24

26 -مراد هوفمان: مفكر إسلامي كان يعمل سفيرا لبلاده ألمانيا لدى كل من الجزائر و المغرب.

27-مراد هوفمان: الإسلام في الألفية الثالثة ديانة. في صعود، تعريب: عادل المعلم و يس ابراهيم، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، 2001م ص: 160

28-هنتيغتون: المرجع السابق ص 339

29 -نقلا عن محجوب عمر: الإسلام و الغرب، دار الشروق، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1995 ص: 14 و ما بعدها .

30-باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية ، ترجمة محمد شامة ،مركز الحضارة العربية، القاهرة مصر 2001، ص: 19

31- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1981، ص: 157 .